الدرس: 81

الأستاذ: الشيخ محمد تقى الشهيدي

المبحث: الظهور

التاريخ: الثلاثاء 14 شوال المكرم 1445 ه.ق

اعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله ربّ العالمين و صلى الله على سيّدنا محمّد وآله الطاهرين ولعنة الله على اعدائهم اجمعين

فى حجية الظواهر

كان الكلام فى معنى المتشابه، حيث ادعى جماعة او نسب اليهم أنهم قالوا بأن العمل بظهورات الكتاب من اتباع المتشابه، و قد نهى الله سبحانه و تعالى عن ذلک.

فذكر السيد الخوئی أن المتشابه هو المجمل، و الظاهر ليس متشابها.

فاورد عليه بأنه إذا كان الكلام مجملا فلا معنى لاتباعه. مضافا الى أن القرآن الكريم بيان و نور و تبيان لكل شیء و هو كلام فصيح فكيف يكون فيه اجمال أو تعقيد؟

هذا ما ذكره فی البحوث وفاقا أو تبعا للسيد الطباطبائی فی الجزء الاول من تفسير الميزان. و قالوا المراد من المتشابه، المتشابه المصداقی. فإن قوله تعالى مثلا "الرحمن على العرش الستوى" له معنى واضح، و لكن العرف إذا لم يكن متعمقا قد يحمل هذا المفهوم الواضح على مصداق مادی و هو الجلوس على الكرسی. بينما أن الراسخين فی العلم يحملونه على مصداق معنوی.

السيد الطباطبائی فی الجزء الثالث من تفسيره ذكر مطلبا آخر خلاف ما ذكره فی الجزء الاول، فقال: المراد بالمتشابه ان لا يفهم معناه بمجرد سماعه، يعنی الكلام المجمل. و لكن القرآن و إن كان مشتملا على كلام مجمل بالذات، الا أنه يوجد فيه كلام محكم مبين بالذات فإذا ارجعنا المتشابه الى المحكم، ذاک المتشابه أيضا يتبين معناه و يصير محكما بالواسطة و بالعرض.

فإذا سمع الانسان قوله تعالى "الرحمن على العرش استوى" يشتبه عليه المراد منه اول ما يسمعه ما هو المقصود من هذا الكلام، فإذا رجع الى مثل قوله تعالى كليس كمثله شيء يتبين له أن المراد به التسلط على الملک و الاحاطة على الخلق دون الجلوس على الكرسى المستلزم للتجسم. و كذا قوله تعالى "وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة" قوله الى ربها ناظرة كلام مجمل، لكن إذا ارجعناه الى مثل قوله تعالى "لا تدركه الابصار و هو يدرک الابصار" علم منه أن المراد بالنظر ليس هو النظر الحسى.

و كذا إذا عرضنا الآية المنسوخة على الآية الناسخة، تبين أن المراد بالآية المنسوخة حكم محدد بزمان ما. و هكذا.

ثم قال: فالقرآن بعضه يبين بعضا و بعضه و هو الآيات المحكمات اصل يرجع اليه البعض الآخر و هو المتشابهات. يعنى الناس يرجعون المتشابهات الى المحكمات. و قد قال تعالى "منه آيات محكمات هنّ ام الكتاب" و الام هو الاصل الذى يرجع اليه الشيء. تفسير الميزان الجزء 21/3.

ثم ذكر: أن التأويل بمعنى حمل اللفظ على المعنى الذى لا يكون ظاهرا فيه استعمال مستحدث، و لا دليل على كونه هو المراد من قوله تعالى "ابتغاء تأويله"، بل المراد منه هو الحصول على تأويل القرآن و مأخذ الحلال و الحرام حتى يستغنوا عن اتباع محكمات الدين.

ثم قال: جميع القرآن له تأويل. الآية المحكمة لها تأويل كما أن للآية المتشابهة تأويل، و لا يختص التأويل بالمتشابهات، فإنه قال تعالى "و ما كان لهذا القرآن أن يفترى" الى أن قال "بل كذبوا بما لم يحيطوا بعمله و لما يأتهم تأويله"، نسب التأويل الى كتاب كله. و هكذا قوله تعالى "و ما يعلم تأويله الا الله" فإن قوله وما يعلم تأويله الا الله لا يعنى أن المحكم ليس له تأويل. بل من الممكن أن نقول بأن الضمير يرجع الى الكتاب، كما أن الضمير فى قوله "ما تشابه منه" يرجع الى الكتاب. "فأما الذين فى قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة و ابتغاء تأويله" أى الذين فى قلوبهم زيغ يتبعون ما تشابه من الكتاب ابتغاء الفتنة و ابتغاء تأويل الكتاب، لا تأويل المتشابه.

فما هو المراد من تأويل القرآن الكريم؟

يقول: ما كان القرآن مثالا له. فهو الذى يؤول اليه القرآن. و نسبته الى القرآن نسبة المتمثَّل الى المثال يعنى نسبة ذى المثال و نسبة الروح الى الجسد. و هذا حقيقة القرآن الكريم. و ليست حقيقة القرآن من قبيل المفاهيم، بل من الامور العينية المتعالية من أن يحيط بها الالفاظ. ثم يمثّل لذلک بما إذا قال المولى لعبده إسقنى ماءا، فإن تأويل هذا الكلام اقتضاء الطبيعة الانسانية للتحفظ على وجودها، أى حبّ الذات. و هذا يؤدى الى طلب القضاء اللازم، و هذا يؤدى الى رفع العطش، و هذا يؤدى الى امر المولى عبده بسقيه ماءا، فيكون واقع قوله إسقنى ماءا حقيقة عينية و هى اقتضاء طبيعة الانسان للتحفظ على وجودها المؤدى الى ما قلناه.

ثم قال: فقد تبين أن تأويل القرآن حقيقة خارجية تستند اليها آيات القرآن، و لأجل ذلک ترى أن هذا الذى ذكرنا ينطبق على قوله تعالى "و الكتاب المبين إنا جعلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون و إنه فى ام الكتاب لدينا لعلى حكيم"، يعنى هذا القرآن النازل كان عند الله امرا اعلى و احكم من أن يناله العقول، لكنه تعالى عناية بعباده جعله كتابا مقروا و البسه لباس العربية لعلهم يعقلون ما لا سبيل لهم الى تعقله مادام فى ام الكتاب. و ام الكتاب هذا هو المدلول عليه بقوله تعالى "يمحو الله ما

يشاء و يثبت و عنده ام الكتاب"، و بقوله تعالى "بل هو قرآن مجيد فى لوح محفوظ" يعنى واقع القرآن الذى هو تأويل القرآن موجود فى اللوح المحفوظ. و هذا هو المراد من قوله تعالى "إنه لقرآن كريم فى كتاب مكنون لا يمسه الا المطهرون"، فالمطهرون من عباد الله يمسون القرآن الكريم الذى فى الكتاب المكنون، ذاک الواقع الخارجى.

هذا محصل ما ذكره السيد الطباطبائى فى الجزء الثالث من تفسير الميزان.

هنا ينبغى ذكر نكات:

النكتة الاولى: أنا اعترف بأن اتباع المتشابه لا يشمل اتباع الكلام المجمل من دون أن يكون له اشعار أو ظهور فى معنى. أنا اقبل ذلک. الكلام المجمل الذى هو متساوى بين معنيين حمله على احد المعنيين ليس اتباعا له عرفا. و لكن هذا لا يعنى أن المتشابه يشمل الظاهر. المتشابه الذى يتبع قد يكون له اشعار بمعنى و لكن المراد الواقعى منه معنى آخر. فيكفى فى صدق اتباع المتشابه حمله على ما يكون مشعرا به. مع أنه لا يخرج عن حد الاشعار.

و هكذا قد يكون كلام فى حد نفسه لولا القرائن الحالية العقلائية و العقلية ظاهرا فى معنى، لكن على الذى يعمل بالظاهر أن يلحظ القرائن الحالية العقلائية و العقلية ثم يتبع الظاهر.

نعم! "وجاء ربک" ظاهر فى المجىء العرفى بالاقدام، لكن يكون قرينة عقلية على أن الله سبحانه و تعالى ليس جسما، كما ان عليه قرينة نقلية "ليس كمثله شىء"، "لاتدركه الابصار" و نحو ذلک. هذا اتباع للظاهر الاولى، و لكنه حيث يكون مبتلى بقرائن حالية عقلية أو عقلائية أو قرائن نقلية لابد من ملاحظتها، فمساه الله سبحانه و تعالى باتباع المتشابه. فبذلک نجمع بين مطلبين:

الاول: أن نتحفظ على ظهور الاتباع. فكما قال فى البحوث حمل الكلام المجمل على أحد معانيه ليس اتباعا له. مع ذلک نقول: بأن العمل بظهور كلام يكشف عن المراد الواقعى بعد ملاحظة القرائن ليس عملا مذموما، ولا يسمى بالمتشابه و اتباع المتشابه.

فإذن اتباع المتشابه إما بحمل كلام مشعر بمعنى على ذلک المعنى المشعر به، مع أن الاشعار ليس بحجة و إنما اتباع هذا الاشعار

استغلال. يستغل هذا الانسان المنحرف هذا الاشعار فى الخطاب و يحمله على مذهبه الفاسد.

و الثانى: أن يتبع الكلام الظاهر فى شىء فى حد ذاته من دون ملاحظة القرائن. هذا أيضا اتباع، و لكنه اتباع للمتشابه. لأن هذا الكلام المراد الواقعى منه ليس موافقا لظاهر الاولى. و أنت تغمض عينک عن القرائن الحالية العقلية و العقلائية و القرائن النقلية التى يجب على كل انسان أن يلحظها فى كشف مراد المتكلم، و أنت تغمض عينک عنها فتحمل الكلام على معنى ليس مقصودا للمتكلم، و إنما تستغل ظهوره الاولى فى ذلک المعنى.

هذا هو المتشابه الذى يتبعه اهل الزيغ.

فالمتشابه هو ما كان الحق منه غير واضح، و يكون متشابها مع الباطل. اشتبه الحق بالباطل.

ولأجل ذلک يقول اميرالمؤمنين عليه السلام على ما فى نهج البلاغة: إنما سميت الشبهة شبهة لأنها تشبه الحق.

هذه هى النكتة الاولى.

و بقية الكلام فى ليلة الاحد إن شاءالله.

والحمد لله رب العالمين.